

الاستشراق والحضارة الإسلامية (نظرة تاريخية مشوشة ومواقف معاصرة منصفة)

د. مصطفى بن عمر حليبي

جامعة طيبة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية

Mustafa1381@msn.com

تاريخ التحكيم: ١٧/٥/١٤٣٥هـ تاريخ الإجازة: ١٠/٦/١٤٣٥هـ

المستخلص:

ينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث : تناول المبحث الأول مفهوم المستشرق وبداياته ومراحله، ومواقف المستشرقين المتباينة تجاه الحضارة الإسلامية . وتناول المبحث الثاني بداية اتصال الحضارتين الإسلامية والغربية بعضها ببعض ، وطبيعة العلاقة بينهما والعوامل التي أثرت في تشكيل نظرة أوروبا للحضارة الإسلامية خلال العصور الوسطى .

وركز المبحث الثالث على إيراد عدد من شهادات المستشرقين ونظرتهم الإيجابية تجاه الحضارة الإسلامية، وأثرها في بناء حضارة أوروبا في العصر الحاضر . واختتمت الدراسة بعدد من التوصيات

الكلمات المفتاحية:

الاستشراق _ الحضارة الإسلامية _ نظرة تاريخية _ أوروبا _ العصور الوسطى .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أنبياء الله ورسله أجمعين، وعلى خاتمهم محمد بن عبد الله أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، وبعد:

فإن من يتأمل تاريخ البشرية، ويطلع على تاريخ الشعوب والأمم الضارب في عمق الزمن يرى أنها عاشت في اختلاف دائم، وصراع مستمر، ويتأكد له أن كل أمة تعتقد أنها على الحق وغيرها على الباطل، ولذلك فهي على استعداد للدفاع عما تعتقده وتؤمن به، وعلى مرّ الحركة التاريخية العميقة الجذور في الزمن نشأت أمم، وتكونت حضارات، ويؤكد المؤرخون والمتخصصون في دراسة الحضارات تنوعها واختلافها في المنطلقات والأسس والمقاصد والوسائل وفي بنائها العقدي والفكري والثقافي والنفسي، وآثارها في البناء الحضاري الإنساني.

والعلماء والعقلاء والباحثون والمفكرون هم من يتعين عليهم قيادة دقة الاتجاهات الحضارية بين الأمم، ويؤسسون لبناء تواصل حضاري موضوعي ومنصف يسهم في فهم الحضارات والثقافات المتعددة والمختلفة، ويؤسسون لنظرة أو نظرية تكاملية حوارية بين الحضارات، بعيداً عن النظرة التضامنية العدائية.

من هذا المنطلق انبثقت فكرة هذه الدراسة التي تهدف إلى بيان المفارقات بين حقبتين زمنيّتين في تاريخ الغرب المسيحي ونظرتيه إلى الإسلام والحضارة الإسلامية، والمتغيرات التي أحدثتها عوامل عدة في تغير نظرة الغرب المسيحي إلى الحضارة الإسلامية.

تبدأ الدراسة بتوطئة تمهيدية، ثم نعرض في مبحثها الأول على بيان مفهوم المستشرق، وبداياته ومراحلها، وأسباب اختلاف المتخصصين في تحديد المفهوم

والمراحل، وتستعرض في المبحث الثاني رؤية عدد من المستشرقين لموقف أوروبا والغرب المسيحي إلى الإسلام ونبيه ﷺ والمسلمين بوجه عام خلال القرون الوسطى، تلك الرؤية التي عبّر عنها عنوان الدراسة بـ(نظرة تاريخية مشوشة) وتستعرض الدراسة في مبحثها الثالث رؤية عدد من المستشرقين في العصر الحديث ومواقفهم من الإسلام وحضارته، لتصل الدراسة إلى بيان المفارقات بين النظرتين في خاتمة البحث ونتائجه.

توطئة

إن البحث في موضوع المستشرق والحضارة الإسلامية يستدعي نظرة متأملة وفاحصة لكل من الحضارتين: الإسلامية والغربية، ولتلك العلاقة التي امتدت في عمق الزمن قرونًا عدة، وشملت في مداها الجغرافي مساحات شاسعة ورؤاها التي تراوحت بين العدائية والسلم، والتقاطع والتواصل، والرفض والقبول، والاحتقار والإعجاب.

واقترضت طبيعة الدراسة - في جل مراحلها - انتقاء نماذج من أقوال المستشرقين تتعلق بمحوري: النظرة التاريخية والمواقف الإيجابية.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تنبثق أهمية الموضوع من أنه جمع بين رؤيتين استشرقيتين لبيان الموقف الغربي من الإسلام والحضارة الإسلامية، منذ أن اتصل الإسلام بالغرب إلى وقتنا الحاضر، ويؤكد - في ذات الوقت - أن عناصر: المعرفة والعلم والموضوعية والإنصاف كفيلة ببيان الحق الذي سيعيب حتماً عند فقدان تلك العناصر أو أحدها، والدراسة أيضاً توثق عدداً من المواقف الإيجابية للاستشراق الحديث تجاه الإسلام وحضارته على مرّ العصور؛ ليستبين للقارئ الدور الريادي للحضارة الإسلامية الذي أثمر علومًا مختلفة كان ولا يزال لها دور فاعل في النهضة الشاملة التي تشهدها الإنسانية اليوم.

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على طبيعة العلاقة التاريخية بين الإسلام والغرب، كما تسعى إلى تقديم مجموعة من الشهادات المنصفة التي أدلى بها عدد من المستشرقين، والاستشهاد بتلك المواقف التي تُعدُّ سعيًا جاداً ينشد الإنصاف والموضوعية،

ويثبت الحقائق، ويحقق شيئاً من التوازن أمام مواقف كثير من المستشرقين السلبية تجاه الإسلام وحضارته.

منهج الدراسة:

وتقتضي طبيعة الموضوع الإفادة من المنهج التاريخي والمنهج الوصفي لإيراد أقوال المستشرقين وغيرهم وصفاً لطبيعة النظرة التاريخية الغربية للحضارة الإسلامية، وبعض المواقف المستشركة المنصفة في العصر الحديث والمعاصر. ونظراً لأن مهمة الدراسة هي التنويه بوجود شيء من الرؤية الإيجابية المنصفة في دراسات المستشرقين عن الإسلام وحضارته؛ كان لابد من الإفادة من معطيات المنهج الانتقائي، ولذلك عمدت الدراسة إلى انتقاء مجموعة من أقوال المستشرقين الذين أنصفوا الحضارة الإسلامية العربية.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على من أفرد دراسة مستقلة جمعت بين الموقفين السلبي والإيجابي للمستشرقين من الحضارة الإسلامية، متتبِعاً ذلك في حقب الزمن الطويلة منذ أن التقى الإسلام بالغرب في القرن السابع للميلاد. وقد أفادت الدراسة من مجموعة من الدراسات العلمية حول الموضوع، فمنها ما يتعلق بدراسات المستشرقين حول طبيعة النظرة التي سادت أوروبا خلال القرون الوسطى والحديثة عن الإسلام وحضارته، ومنها الدراسات التي عيّنت بدراسات المستشرقين حول الإسلام: تاريخاً وحضارة، وأثبت الباحث كلّ دراسة أفاد منها في تكوين الصورة النهائية لموضوع الدراسة^(١).

(١) تبين قائمة المراجع الدراسات والكتب والأبحاث التي أفادت منها هذه الدراسة.

المبحث الأول

المستشرق : مفهومه وبداياته ومراحله

من المعروف أن أشق ما يواجهه الباحث هو التعريف بالأفكار العلمية المجردة؛ لأن العلم دوماً قابل للتطور، والتطور يكشف جوانب لم تكن معروفة سلفاً، أو كانت ناقصة فأُكملت، ولذلك كثيراً ما يعاد النظر في التعريفات، ذلك لأن مفهوم الشيء دائماً مفتوح على الأقل في بداية تكوينه، وبمرور الزمان، وتغير الأحوال وتجدد المعارف يتسع المفهوم، وأحياناً يضيق.

وهو ما يواجهه المتخصصين في الدراسات المستشرقية عند ما يعرفون بمصطلح المستشرق، فلا يزالون يختلفون في تعريف المصطلح الذي أصبح يعاني من ضبابية في الوضوح، ترتب عليها ذلك ظهور إشكالية في المقصود بالمصطلح، الذي انعكس على التعريف به كعلم أو ظاهرة أو اتجاه فكري، وأثر في تحديد هويته، وأهدافه، ومناهجه، وأدى ذلك كله إلى بحث مفكري الغرب عن بديل للمصطلح، يُبعد عنه ضبابيته، وما ارتبط به من ظلال سلبية جعلت بعض المستشرقين يحاولون التنصل من عدّهم ضمن دائرة المستشرقين^(١).

اختلف مفهوم مصطلح المستشرق، وتعريفه تبعاً لاختلاف الباحثين أنفسهم، سواء أكانوا غربيين أم شرقيين مسلمين أو غير مسلمين، مؤيدين له أم معارضين، وأثر في تعريف المصطلح أيضاً المراحل التي مرت بها الدراسات المستشرقية، منذ العصور

(١) انظر: أحمد الشيخ، (حوار الاستشراق) ص: ٣٩ في حوار مع المستشرق "رودنسون" وص ١٦٠ في حوار مع المستشرق "جاك توبي". وانظر أيضاً: علي النملة، (الاستشراق والدراسات الإسلامية) ص: ١٣٢.

الوسطى إلى العصر الحديث. وظهر مصطلح استشراق (Orientalism) في الغرب منذ قرنين من الزمان تقريباً، وأصل المصطلح مأخوذ من الكلمة اللاتينية الإنجليزية (Orient) وتعني: الشرق أو التوجه نحو الشرق، ويتمركز معناها حول طلب العلم والمعرفة والإرشاد والتوجيه، ومن هذا الأصل جاء اشتقاق الكلمة الدالة على العلم نفسه، وهي (استشراق Orientalism)، وعلى المتخصص فيه كلمة (مستشرق Orientalist)، وأول استعمالٍ لكلمة مستشرق كان في عام ١٦٣٠م، فقد أُطلق هذا المصطلح على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية، وفي عام ١٦٩١م أُطلق المصطلح على من عَرَف بعض اللغات الشرقية، وتأخر إطلاق المصطلحين (استشراق ومستشرق) وظهورهما في القواميس، إذ ظهر المصطلح (مستشرق Orientalist) في إنجلترا عام ١٧٧٩م، وظهر المصطلح في فرنسا سنة ١٧٩٩م، ثم أُدرج في قاموس المجمع العلمي الفرنسي عام ١٨٣٨م^(١).

ولن تستطيع هذه الدراسة حصر تعريفات المتخصصين لمصطلح المستشرق، وحَسْبُ الباحث عرض نماذج منها.

يعرّف المستشرق (رودي بارت) المستشرق بأنه "علم الشرق أو علم العالم الشرقي"^(٢)، ويعرّفه إدوارد سعيد بأنه "أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبناؤه، وامتلاك السيادة عليه"، ويعرّفه أيضاً بأنه "نظام من المعرفة بالشرق" وهو في نظر

(١) انظر في ذلك: محمد الزيايدي، (الاستشراق: أهدافه ووسائله) ص ٢٠، والسيد أحمد فرج، (الاستشراق: الذرائع، النشأة، المحتوى) ص ١٧، ومحمود حمدي زقزوق، (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري) ص ٢٣، وأحمد سهايلوفتش (فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر) ص ٢٢-٢٣.

(٢) زقزوق (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري)، ص: ١٨.

إدوارد سعيد "المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق، التعامل معه بإصدار تقارير حولها، وإجازة الآراء فيه وإقرارها، وبوصفه، وتدرسه، والاستقرار فيه"^(١).
 أما المستشرق (واط) فيرى أن المستشرق "دراسة ثقافات وحضارات الشرق -أي آسيا- ويشتمل على دراسة اللغات والآداب، والتاريخ، والدين..."^(٢).
 ويعرّفه أحمد الزيات بقوله: "يراد بالمستشرق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته، وآدابه وعلومه، وعاداته، ومعتقداته، وأساطيره"^(٣). ويرى عدنان وزان أن "المستشرق أو الدراسات المستشرقية مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يُعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة..."^(٤).
 ويحدّد قاموس (أوكسفورد) معنى المستشرق بأنه "من تبخر في آداب الشرق ولغاته"^(٥)، وتقول الدكتورة عفاف صبرة: "المستشرقون اصطلاح يشمل طوائف تعمل في ميادين الدراسات الشرقية، فهم يدرسون العلوم والفنون والآداب والديانات والتاريخ، وكل ما يخص شعوب الشرق..."^(٦).
 ويرى مالك بن نبي أن المستشرقين هم "الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن

(١) إدوارد سعيد (الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء)، ص: ٣٩.

(٢) محمد خليفة (أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر)، ص: ١٤٣.

(٣) أحمد سابلوفيتش (فلسفة الاستشراق...)، ص: ٢٧.

(٤) عدنان وزان (الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر) ص: ١٥.

(٥) أحمد سابلوفيتش (فلسفة الاستشراق) ص: ٢٣.

(٦) عفاف صبرة (المستشرقون ومشكلات الحضارة) ص: ٩.

الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية^(١).

تلك نماذج لرؤى بعض الباحثين لمعنى مصطلح المستشرق والمستشرق، وهي في مجملتها لا تخرج عن معاني: المعرفة، والعلاقة، والدراسة، والسيادة، والتسلط. ومن خلال تلك النماذج يتضح أن بعض الباحثين يؤكدون أن المستشرق هو دراسة الغرب للشرق بوجه عام: حضارة وثقافة وآداب وفنون وتاريخا... وغيرها، ويرى آخرون أنه دراسات موجهة للإسلام وحضارته على وجه الخصوص. وكما اختلف المتخصصون في تحديد مفهوم مصطلح المستشرق، اختلفت آراؤهم وتباينت في تحديد بداياته ونشأته. وتعود أسباب اختلافهم في تحديد بدايات المستشرق ونشأته إلى عوامل عدة أجملها فيما يلي:

١ - عدم الاتفاق على تعريف المصطلح.

٢ - النظر إلى المستشرق من زوايا مختلفة، فقد اختلف الباحثون في تحديد هويته، هل هو علم قائم بذاته؟ أو أنه اتجاه فكري؟ أو هو حركة استعمارية...؟

٣ - الاختلاف في أغراض الدراسات المستشرقية وأهدافها: هل هي دراسات قامت على أساس العلم والمعرفة؟ أو للسيادة والسيطرة على أمم الشرق؟ هل أهدافها علمية أو دينية أو سياسية أو اقتصادية؟ أو تجمع ذلك كله؟ وهل غلب هدف على آخر في فترة معينة من تاريخ المستشرق؟.

٤ - هل يكفي الاهتمام الفردي والدراسات الأولى التي صدرت في العصور الوسطى لتحديد بدايات المستشرق؟ أو لابد أن تُحدّد بدايات المستشرق بالاهتمام الرسمي بالشرق سواء من خلال المؤسسات الدينية أو العلمية؟.

(١) مالك بن نبي (إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث) ص: ٧.

٥- هل تحدّد تلك البدايات من خلال الحوادث والمواقف المهمة في تاريخ العلاقة بين الشرق والغرب، مثل: الحروب الصليبية، أو ترجمة معاني القرآن الكريم أو ظهور أول قاموس عربي لاتيني؟ أو من خلال دراسة قساوسة الكنيسة ورهبانها في الجامعات الشرقية؟ أو مع بداية تأسيس كراسي اللغة العربية والدراسات الشرقية في الجامعات الأوروبية؟ أو مع بداية حركة الترجمة وإنشاء مدارس لترجمة العلوم الإسلامية؟ أو مع ظهور المستشرق بالمعنى العلمي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهما عصرا التخصص في الدراسات الإسلامية تحديداً، وإصدار الدوريات المتخصصة في العلوم الإسلامية.

لقد أثرت تلك الاختلافات في تحديد بداية المستشرق وأدت إلى تباين الأقوال في نشأته وبداياته، فمن قائل بأنه ظهر في أواخر القرن السابع للميلاد. ومن المتخصصين من يرى أنه ظهر في القرن العاشر للميلاد. ومنهم من يرى أنه ظهر في القرن الثاني عشر للميلاد. ورأي رابع يقول: إنه ظهر في القرن الثالث عشر للميلاد، أو الخامس عشر. ومن المتخصصين من يجعل بداياته مع بداية عصر النهضة في القرن السادس عشر. وأخيراً: هناك من يرجع نشأة المستشرق إلى القرن الثامن عشر- للميلاد، متخذاً من حملة (نابليون) على مصر، والانفجار المعرفي الغربي، وظهور المناهج العلمية والفلسفات المختلفة التي ظهرت في أوروبا، والاتجاه إلى التخصص في الدراسات المستشرقية، سواء فيما يتعلق بالجانب الجغرافي للشرق، أو المجالات العلمية المختلفة دليلاً على قوله^(١).

(١) انظر: محمد خليفة، (أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر)، ص: ١٣٧-١٥٧، والزيادي، (الاستشراق:

أهدافه ووسائله)، ص: ٢٣-٢٥، وفرج، (الاستشراق: الذرائع، النشأة، المحتوى)، ص: ٤٧-٦٩،

وللباحثين في مجال الدراسات المستشرقية آراء مختلفة أيضاً في تحديد المراحل التي مرت بها الحركة المستشرقية وتسميتها، وتقسيم تلك المراحل سواء من الجانب الموضوعي أو من الجانب التاريخي.

فمنهم من يرى أن مراحل المستشرق تنقسم إلى قسمين:
المستشرق القديم، والمستشرق الحديث.

ومنهم من يرى أن الحركة المستشرقية تنقسم إلى ثلاث مراحل:

١ - المستشرق القديم. ويعود إلى فترة العصور الوسطى، أي من القرن السابع للميلاد إلى القرن الخامس عشر.

٢ - المستشرق الحديث. ويؤرخ بداية عصر النهضة الأوروبية إلى القرن التاسع عشر للميلاد، وربما إلى بدايات القرن العشرين.

٣ - المستشرق المعاصر. إذ يرى بعض المتخصصين أن هذه المرحلة تنقسم إلى مرحلتين: ما قبل أحداث سبتمبر، وما بعدها.

ومن الباحثين من يقسم المستشرق إلى مراحل مختلفة عما سبق، وهذه المراحل هي:

١ - مرحلة المستشرق الديني. وهي المرحلة التي تبنت فيها الكنيسة مواجهة الزحف الشرقي على الغرب، واهتمت بالدراسات العربية والإسلامية.

الشرقاوي (الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر)، ص: ٢٤-٣٢، محمود زقزوق، (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري)، ص: ٢٢-٢٤، عبد الله النعيم، (الاستشراق في السيرة النبوية)، ص ١٥-١٦، أحمد ساييلوفيتش، (فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر)، ص: ٥٤-

٢- مرحلة المستشرق الاستعماري (العسكري). وهي مرحلة بدأت مع أفول هيمنة الكنيسة، وبداية عصر التفوق الحضاري والصناعي في أوروبا، ورحلات المستشرقين إلى البلاد العربية والإسلامية، ودخول الاحتلال العسكري بلاد الشرق الإسلامي، الذي أصبح راعياً للاستشراق - كما يرى بعض الباحثين - بدلاً عن الكنيسة.

٣- مرحلة المستشرق العلمي:

وهي المرحلة التي ظهر في بدايتها اهتمام الغرب بالعلوم واضحاً، وعقدت خلالها المؤتمرات المستشرقية، وأنشئت أقسام للدراسات الشرقية والإسلامية، واللغات، وظهور الفلسفات المختلفة^(١) مثل: الاتجاه الرماتيني، والاتجاه العقلاني، والفلسفة الوجودية، والواقعية، والمادية، والمثالية، والبراجماتية... وغيرها^(٢). وللباحثين تقسيمات أخرى للمراحل التي مرت بها الحركة المستشرقية، أو المستشرق بوجه عام، يضيق المقام عن ذكرها هنا.

المستشرق : مواقف متباينة:

يُجمع الباحثون والمثقفون على أن كل مَنْ يعتزم دراسة حضارة وثقافة غير حضارته وثقافته أن يكون دافعه الأساس هو الدراسة من أجل العلم والمعرفة، وأن

(١) الزيايدي، (الاستشراق: أهدافه ووسائله)، ص: ٢٥-٣١، أحمد غراب، (رؤية إسلامية للاستشراق)،

ص: ٢٣-٤٠، ٤٠-٤٣، ٧٩-٨٠، ٨٣، عبد الله النعيم، (الاستشراق في السيرة النبوية)، ص ١٦-

١٧، أحمد ساييلوفيتش، (فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر)، ص: ٧٠-٨١.

(٢) انظر كتاب: إ.م. بوشنسكي، ت: عزت قرني، (الفلسفة المعاصرة في أوروبا) فالكتاب كله يتحدث عن

نشأة الفلسفات في أوروبا، وانظر أيضاً "بول هازار" في كتابه (الفكر الأوروبي في القرن الثامن عشر-،

سيعرف الباحث بهذه الفلسفات في نهاية البحث.

تتسم دراساته بالموضوعية، والمنهجية العلمية السليمة، مع النزاهة والإنصاف. ويرى بعض الباحثين المسلمين أن المستشرقين ينقسمون إلى فريقين في موقفهم من الحضارة والثقافة الإسلامية: فريق المنصفين والمدحيين للحضارة الإسلامية، وفريق المتحيزين المنتقدين لها. ويضيف بعض الباحثين فريقاً ثالثاً يطلقون عليه: فريق المعادين للحضارة الإسلامية^(١).

ولا شك في أن مواقف المستشرقين تجاه الحضارة الإسلامية لها تأثير كبير في مواقف الفكر الغربي عموماً تجاه حضارة المسلمين أو حضارة الشرق. ويرى بعض الباحثين المسلمين أن ما كتبه المستشرقون المنتقدون كان هو المادة التي ألهبت وأذكت التعصب تجاه الإسلام والحضارة الإسلامية، ويكاد يضيع ما ذكره المدحون للحضارة الإسلامية في غمار التيار المنتقد أو المعادي للحضارة الإسلامية.

ومن الباحثين المسلمين من يرى أن الدراسات المستشرقية في مجال الإسلام تعاني من قضيتين أساسيتين: الأولى: غياب الموضوعية، والثانية: هي مشكلة فهم الإسلام عند المستشرقين... وقد وقعت الدراسات المستشرقية حول الإسلام تحت تأثير كل عوامل التحيز... وأنجب القرن التاسع عشر- معظم المستشرقين المعادين للإسلام وأنتج غياب الموضوعية الاتجاه الذاتي في الدراسات المستشرقية...^(٢).

ويقابل الاتجاه الذاتي أو الانحيازي من المستشرقين تيار المستشرقين المنصفين

(١) انظر: عمر الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ١٨٦، محمود زقزوق، (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري)، ص ٧٥، ٧٦، وفتحية النبراوي، (الاستشراق)، ص (١٨١-١٩٥)، وانظر: محمد خليفة، (أزمة الاستشراق المعاصر)، ص ٢١٩-٢٢٣.

(٢) محمد خليفة، (أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر)، ص ٢١٩-٢٢٤.

الذين "حاولوا أن يستقوا المعلومات الصحيحة عن الإسلام ونبي الإسلام من المصادر الأصلية، وأن يُعملوا العقل في استخدام تلك المعلومات بنوع من التجرد والموضوعية..."^(١).

"ومؤرخو الحضارات من غير المسلمين، حينما يتعرضون للحضارة التي أسسها المسلمون، ونشروها في العالم ينقسمون إلى ثلاثة أصناف: جأثرون متعصبون، ومتوسطون بين الإنصاف والجحود المتعصب، ومنصفون متجردون"^(٢).

وثمة حقيقة لا بد من الإقرار بها، وهي أن للمستشرقين فضلاً على تراث المسلمين، من حيث حفظه ونشره وتحقيقه في وقت غابت فيه الدراسات "الشرقية" الجادة المتمية التي تخدم هذا التراث..."^(٣).

وحقيقة أخرى "مؤداها أن للمستشرقين عيوباً في اهتمامهم بتراث المسلمين في مجالات التحقيق والدراسات المستقلة... وبين هذين الموقفين يبرز التوازن الذي يقف بين اتجاهين في النظر إلى أعمال المستشرقين، وهما اتجاهان متعاكسان، أحدهما يقبل أعمال المستشرقين على علائها، ويرى أنها تصدر عن علمية صادقة وموضوعية متجردة... وموقف رافض تماماً لأسلوب المستشرقين في دراسة التراث وتحقيقه، بل وحفظه..."^(٤).

(١) فتحة البراوي، (الاستشراق)، ص ١٩٥.

(٢) عبد الرحمن الميداني، (الحضارة الإسلامية)، ص ٦٤٩، باختصار.

(٣) علي النملة، (الاستشراق والدراسات الإسلامية المعاصرة) ص ١٢٩.

(٤) علي النملة، (الاستشراق والدراسات الإسلامية)، ص ١٢٩.

وأما مواقف الباحثين والمثقفين المسلمين من المستشرق فتتخصر في ثلاثة مواقف: موقف المتحمسين المؤيدين له، وموقف المعارضين الراضين للاستشراق، والموقف الثالث هو الموقف الذي توسط بين التيارين الأول والثاني، ويمثله المتعلقون المنصفون من الباحثين المسلمين، الذين أقرّوا واعترفوا للمستشرقين بفضلهم وإنصافهم في عدد من مجالات الدراسات الإسلامية.

ولم يُغفلوا في الوقت نفسه الأخطاء التي وقع فيها أولئك المستشرقون، وبينوا أخطاءهم، ووقفوا على مواطن الضعف، وردوا على شبهات ومزاعم فريق من المستشرقين الذين أثاروا الشبهات حول الإسلام عقيدة وشرعية، وحضارة... وهذا "الفريق لا يقر للمستشرقين إقراراً تاماً، فيقبل ما يجيئون به قبولاً غير مشروط، كأصحاب الموقف الأول، ولا هو يرفض جميع ما جاء به المستشرقون رفضاً تاماً دون عناء النظر في هذه الإسهامات مثل معظم أصحاب الموقف الثاني"^(١).

(١) علي النملة، (الاستشراق والدراسات الإسلامية)، ص ٢٢٣.

المبحث الثاني

الإسلام والغرب: علاقة تاريخية وعوامل مؤثرة

العلاقة بين الإسلام والغرب بدأت في فترة مبكرة جداً، ولا تزال مستمرة وستبقى كذلك؛ لأنها السنة الإلهية الكونية، وهذه العلاقة التاريخية تأثرت سلباً وإيجاباً بعوامل متعددة كان لها الأثر في تكوين الصورة الإيجابية أو السلبية عن الإسلام وحضارته.

و"بين الخمسينيات والسبعينيات تكون في (الإسلاميات) الغربية اتجاه متخصص في دراسة نشوء التصورات الأوروبية وتطورها حول الإسلام في القرون الوسطى وفي العصر الحديث (في الوعي الشعبي، في الأدب، في اللاهوت، وفي الدراسات الإسلامية ذاتها)"^(١)، وهذا ما يفسر تخصيص عدد من المستشرقين دراسات عنيت بالعلاقة بين الإسلام والغرب، أو الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية خلال العصور الوسطى، وركزوا في دراساتهم على موقف أوروبا من الإسلام ورسوله ﷺ بوجه عام، وحاولت تلك الدراسات تحديد طبيعية تلك النظرة والعوامل التي أثرت في تكون تلك الرؤى والتخيلات خصوصاً فيما يتصل بشخصية النبي ﷺ وسيرته وطبيعة الإسلام"^(٢).

(١) أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ٢١٨، والنص مقتبس من تعليقات المؤلف الواردة في آخر الكتاب.

(٢) رضوان السيد، في مقدمته لترجمة كتاب (صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى) لـ (سوذن)، ص ١٣.

ولعله من المناسب بيان تلك النظرة بالتجول في عدد من دراسات المستشرقين التي تبين وتحدد طبيعة موقف أوروبا من الإسلام في العصور الوسطى، والعوامل التي أسهمت في تكوين تلك النظرة وذلك التصور؛ لتبين أهمية عرض رؤى بعض المستشرقين الإيجابية والمنصفة عن الإسلام ورسوله ﷺ والحضارة الإسلامية^(١).

"كانت معلومات الأوروبيين عن العرب في البداية ضئيلة جداً، بل كانت مشوهة مشوشة تماماً... وظهورهم -أي العرب- على الأراضي الأوروبية نُظر إليه في البدايات الأولى بوصفه كارثة مماثلة -إن لم تكن أسوأ- للاجتياحات التتريّة للمراكز الحضارية والثقافية في العالم، الأمر الذي استثار الفزع الشديد والقلق المرّضي الديني بالمعنى الحرفي للكلمة إزاء التصورات الغربية عن الإسلام في الوعي الشعبي"^(٢)، ذلك "لأن النصرانية في العصور الوسطى كانت محاطة بشكل كامل بالإسلام، فلقد كانت آسيا وأفريقيا وأجزاء كثيرة من أوروبا تحت سيطرة الحكم الإسلامي... وكانت سيطرة الإسلام بالنسبة لرجل الدين فاجعة كبيرة بالنسبة لهم، فرسموا صورة قاسية لغير النصراني، وكانوا في تلك العصور هم المؤرخون، وبذلك يتضح السبب وراء تصوير العصر الإسلامي بأسوأ صورة"^(٣).

(١) وهو ما سيرضه الباحث في المبحث الثالث.

(٢) أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص: ٣٨، ٣٩،

(3) "In the Middle Ages, Christendom was completely surrounded by Islam. Asia Africa

and even parts of Europe were controlled by Muslims. For most Christians it mattered Little. Many even enriched Islam's dominance was a sorry state of affairs. Not surprisingly these religious men painted a bleak picture of the "infidel" If one considers that Christian Monks were the only historians of the Middle Ages, it becomes obvious why Muslims time and again gat the worst of press. Mark Graham, How Islam Created the Modern World, P. 117.

"وتشكلت في الوعي المسيحي (الشعوري واللاشعوري) القوالب النمطية الذهنية عن الإسلام... وبشكل عام، فإن صورة الإسلام المتكونة آنذاك، وهي مزيج متناقض لمعارف موضوعية مع تشويهاً خطيرة، ضمت في الوقت ذاته تصورات في منتهى الخيالية (الفانتازيا) والتوهم، حيث هيمنت بشكل ثابت راسخ لمدة طويلة على عقل الإنسان الأوروبي ومنطقه ومداركه تجاه الإسلام وحضارته"^(١).

فالجهل الناجم عن ضيق الأفق والأوهام والخوف من هذا العدو القادم أنتج صورة مشوهة مضامين وتاريخاً؛ لأنه جهل ذو طبقات ومراحل بالغة التعقيد، ومما ساهم في تكوين هذه الصورة المشوشة والمشوهة عن الإسلام والمسلمين التي بقيت قرون عدة دون أن يظهر عليها تغيير، وتركت آثاراً واضحة إلى وقت متأخر الشعر الشعبي، والأقاصيص الأسطورية والخرافية، إضافة إلى الحروب الصليبية^(٢).

وتبلورت صورة الإسلام والرسول ﷺ بشكل تدريجي في العقل الأوروبي، وتمثلت في أربعة نماذج مختلفة ومتناقضة، تكونت خلال القرون مع بعض المتغيرات لتناسب العصر: يصور النموذج الأول منها الرسول ﷺ عدوًّا للمسيحية، وكافراً وشيطاناً، ويصور النموذج الثاني رسول الله ﷺ منحلاً أخلاقياً، وراهباً فاسداً "لوسيفر"^(٣) العرب، أما النموذج الثالث فيصور الرسول ﷺ منحرفاً جنسياً، متعدد الزوجات، دجالاً ومشعوذاً، والنموذج الرابع يصور رسول الله ﷺ كشرقي حكيم،

(١) أليكس جورافسكي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ٦٦-٦٧.

(٢) سوذرن، صورة الإسلام والمسلمين في أوروبا في العصور الوسطى، ينظر الصفحات: ٤٩، ٦١، ٦٥، ٦٨ باختصار وتصرف.

(٣) جاء معنى هذه اللفظة (Lucifer) في القاموس بمعنى (الشیطان أو إبليس).

وشخص مقدس، ومصدر للحكمة، بيد أن هذه الصورة الأخيرة نادراً ما استخدمت حتى في القرون الأخيرة، إذ ظهرت بشكل عابر، وفي أحوال أخرى صور النبي ﷺ أنه شخص قوي عسكرياً، وماكر وسياسي، ولكنه -في ذات الوقت- حاكم فاسد أخلاقياً، وعادة ما يظهر الرسول ﷺ في الأدب الغربي المبكر على أنه شخصية صعبة، ومصدر للتهديد أدى فساد هلاكه بشكل تدريجي^(١).

ويرى بعض المستشرقين أنه بالرغم من الصورة المشوهة عن الإسلام التي كانت سائدة في العصور الوسطى، إلا أن هناك فترات وأصوات تظهر بين الفينة والأخرى تظهر بعض التعقل والأمل لفهم أفضل بطبيعة الإسلام وشخصية نبيه ﷺ تحاول طرد التصورات الخيالية في أوساط المثقفين الأوروبيين بنفي الدور التخريبي للإسلام، أو أنه أمانة للدجال أو القيامة^(٢)، وتدعو في ذات الوقت إلى الحوار والمناظرة، ونبذ الحلول العسكرية، وتنطلق تلك المناظرات من حتمية الصراع مع

(1) "No single "Islam" ever was known by all Christians and no single transmission line

emerged through which an image of Islam was passed from century to century. What gradually crystallized were four somewhat different and at times contradictory models that, with variations, continue to the present...

1- The Prophet as Antichrist, heretic, or stan.

2- The prophet as fallen Christian, corrupted monk, or Arab Lucifer.

3- The Prophet as sexwel deviant, Polygamist, and charlatan.

4- The Prophet as wise Easterner, holy person, and dispenser of wisdom.

Frederick Quinn, the sum of all Heresies, the Image of Islam in Western thought, P. 24.

(*) حاشاه ﷺ من كل ما اتهموه به، ولم يرد الباحث على هذه الاتهامات؛ لأن البحث ليس محل الرد على هذه الاتهامات، كما أنها اتهامات قد ردّ عليها الباحثون من المسلمين، وأنكرها عدد من المستشرقين في كتاباتهم، وانتقدوا أسلافهم في الزجّ بمثل هذه التصورات المموجة، والتصورات والرؤى المختلفة. ينظر في ذلك العديد من كتب المستشرقين التي تحدثت عن صورة الرسول ﷺ في القرون الوسطى، مثل سودرن، ورودنسون، وفردرك، وأليكسي جورافسكي، وغيرهم.

(٢) سودرن، صورة الإسلام والمسلمين في أوروبا في العصور الوسطى، ص ١٠٤.

الإسلام، ولكن بالكلمة والإقناع والحجة وليس بالسيف؛ لأنهم اعتقدوا أنهم بإمكانهم إعادة هؤلاء المهرطقة (المسلمين) إلى فلك الكنيسة^(١). ولكن سرعان ما تحتفي هذه الصورة المتفائلة المتعلقة -حسب قول بعض المستشرقين- وتعود "خيبة الأمل" وتعود معها معالم الصورة الأولى الناجمة عن الجهل والحقد والخوف البعيدة عن التعقل والتفهم؛ لتصبح هي "القاسم المشترك بين كل أولئك الذين زاروا بلاد الإسلام طوال القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر من الأوروبين"^(٢).

فالإسلام والمسلمون إذاً شكّلوا "بالنسبة للغرب المسيحي لفترة طويلة خطراً قبل أن يصبحوا معضلة... وبقي العالم الإسلامي العدو رقم واحد" في القرن الحادي عشر، بهذه العبارة افتتح (رودنسون) كتابه؛ ليقرر طبيعة الصورة التي رسمتها أوروبا عن الإسلام في العصور الوسطى، وهو بذلك يتفق مع (سوزرن) بأنها رؤية موجهة من أدب تلك العصور إلى الجمهور، و"كان -كما هو جلي- أن تشكّل وتعلم الصورة التي حفظتها الأجيال التالية أكثر بكثير مما شكلتها وأعلمتها أعمال أكثر علماً وأكثر وجدانية"^(٣). صورة خرافية مبتكرة مشبعة بالتشويهات الأيديولوجية التي تُصرم الحقد على العدو.

ومع أن الغرب كان يمضي -لرسم تصورات أكثر ألواناً ودقائق، إلا أن الصورة "المغروسة في أذهان العصور الوسطى العليا... ما زالت تؤثر في جماهير العقول البسيطة"^(٤).

(١) أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ٧٩-٨٠.

(٢) ينظر في كل ما سبق: سوزرن، صورة الإسلام والمسلمين في أوروبا في العصور الوسطى، ص ١١٥-

١١٧.

(٣) ماكسيم رودنسون، جاذبية الإسلام، ص ١٥، ٢١.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٠.

ويتفق المستشرقان (سوذن ورودنسون) في تحليل موقف أوروبا في القرن الرابع عشر من الإسلام، إذ بدأ الاهتمام بالإسلام في الدوائر اللاهوتية في إطار توجه رجال اللاهوت إلى التفكير في جدوى الصراع العسكري، أو كفاية الجهد التبشيري السُّلمي^(١)، وتحول -في نظر أوروبا- خطر الإسلام في القرن الخامس عشر من خطر أيديولوجي إلى خطر ثقافي زمني^(٢).

"وبشكل عام فقد تكونت في وعي الأوروبيين (في القرون الوسطى) ملامح اللوحة التالية عن الإسلام: إنه عقيدة ابتدعها محمد، وهي تتسم بالكذب والتشويه المعتمد للحقائق، إنها دين الجبر والانحلال الأخلاقي، والتساهل والملذات والشهوات الحسية، وإنها ديانة العنف والقسوة"^(٣).

وافتتحت المستشرقة (أنميري شيمبل) كتابها (الإسلام) بإعلانها أن المسيحية أخفقت في فهم الإسلام وهاجمته بشدة، وبدأ الإسلام لأكثر من ألف عام التهديد الأخطر للمجتمع الأوروبي، وقاد هذا الشعور في ذلك الوقت إلى الاعتقاد أن الإسلام والمسلمين هم الأعداء الرئيسيين للمسيحية والحضارة الغربية، وأما على المستوى السياسي فقد ظهر هذا الخطر مع بداية غزو العرب لإسبانيا في بداية القرن الثامن للميلاد، وانتهائه بحصار العثمانيين الأتراك (لفينا) سنة ١٦٨٣م^(٤).

(١) ماكسيم رودنسون، جاذبية الإسلام، ص ٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦.

(٣) أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم ص ٧٣، وأشكر المؤلف في حواشيه عن نقله من (مونتغمري واط، تأثير الإسلام على أوروبا بأمي القرون الوسطى ص ٩٩-١٠٣، ينظر الحاشية رقم ٨٥ عند جورافسكي.

(4) "Islam was both misunderstood and attacked most intensely. For more than

وتؤكد المستشرقة أن صورة الإسلام ونبي الإسلام ﷺ في أوروبا العصور الوسطى صورة مشوهة تشويهاً كاملاً^(١). ولا يبعد رأي (كارين أرمسترونج) عن (شيميل) في تصويرها لصورة الإسلام السلبية في الغرب، فالإسلام "ما يزال يحتفظ بصورته السلبية في الغرب على الأقل... مع أنه الدين الثالث لإبراهيم الخليل، وأقرب في روحه إلى تراثنا اليهودي المسيحي، فلدينا في الغرب تاريخ طويل من العداء للإسلام، ويبدو أنه راسخ الجذور مثل عدائنا للسامية"^(٢).

"وكان من المحال على المسيحيين الغربيين بسبب هذا الخوف أن يلتزموا الموضوعية إزاء العقيدة الإسلامية... إذ كانوا يرسمون صورة شائهة للإسلام تعكس بواعث قلقهم الدفينة، وكان علماء الغرب يهاجمون الإسلام باعتباره عقيدة تجديف في الدين، ويصفون محمداً بأنه المدعي الأكبر، ويتهمونه بأنه أنشأ ديناً يقوم على العنف، ويمتشق السيف لفتح العالم،... وكانت مسرحيات الإيحاء تصوره في صورة عدو الحضارة الغربية"^(٣).

millennium Islam seemed to be a major – if not the major – threat for the people of Europe, and this feeling has contributed to the fact that Islam and those who confessed it, the Muslims, were regarded as the arch enemies of Christianity and Western civilization. On the political level this threat began with the conquest of Spain by Arabs at the beginning of the eighth century and it ended with the siege of Vienna by the Ottoman Turks in 1683.
Annemorie Schimmel, Islam An Introduction, State University of New York Press, 1992, P.1.

(1) "The medieval European image of Islam and of its Prophet, Muhammad, is a thoroughly distorted one.
Ibid, P.2.

(٢) كارين أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص ١٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨.

وجميع تلك الأكاذيب جعلت الأوروبيين يرون الحقائق "من خلال عدسة مشوهة يغلب عليها الجهل والتعصب الأعمى، وبدأت هذه الأكاذيب في ١٠٩٦م"^(١). وبشرت بعض رؤى العهد القديم بخروج نبي في آخر الزمان، إلا أنها وصفت هذا النبي بأوصاف غير لائقة، وأشاع الرهبان والقساوسة هذه الصفات بين عامة المسيحيين في العصور الوسطى^(٢). وكان لتلك الرؤى أثر كبير في رسم الصورة السيئة عن الإسلام ونبي الإسلام، وبعثت عوامل القلق والخوف من هذا "العملاق الإسلامي الجبار" وتساءلت الكنائس والأديرة كيف سمح الله لهذه العقيدة "الكاذبة" بالظهور والانتشار^(٣).

وهذا التساؤل يعكس حال النفسية المسيحية الخائفة القلقة، وفي ذات الوقت الحائرة الحاقدة على الإسلام ونبيه ﷺ، حيث كانت "صيحات التهجم التي أطلقها

(1) "These Falsehoods, Made truths through the warped lense of ignorance and bigotry, all got their start in 1096".
Mark Graham, How Islam Created the Modern World, P.120.

(٢) كارين أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص ٣٧، وينظر أيضًا كتاب (صورة الإسلام في الفكر الغربي للمستشرق (Fredric Quinn) حيث تطرق إلى الحديث عن (الإسلام في الكتاب المقدس)، وقال "يعدّ الكتاب المقدس أعظم نصّ ضد الإسلام P.26 "The Bible was the great anti – Islamic text" واستخدمت المقاطع الخاصة بسفر الرؤية جليا ضد الإسلام، حيث احتوت على أوصاف الأعمال البغيضة المهجورة التي تكهن بها النبي دانيال، وربط بعض معلقى الكتاب المقدس المتأخرين الإسلام بشخصيات شيطانية متعددة.

"...but its apocalyptic passages would soon be used against Islam. they contained graphic description of the abomination that desolates fore told in the prophet Daniel... but some later biblical commentators linked Islam to various demonic figures in the Apocalypse, Stan, the multi-headed beast.
Fredric Quinn the sum of all heresies the Image of Islam in Western Thought, P.27

(٣) كارين أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص ٣٦، وفي هذا النص إثبات لنبوة محمد ﷺ، وأنه عليه الصلاة والسلام يأتي بالعجائب أي: المعجزات.

شهداء قرطبة ضد الإسلام تستند إلى تلك السيرة القائمة على "الرؤيا" وصوّر الوهم للأذهان التي سيطر عليها الرعب أن محمداً دجال كاذب، نصّب نفسه نبياً؛ لخدع العالم، وصوّرها الوهم أنه فاسق يستمرئ الفسق البذيء... وانتهت هذه الأوهام إلى القول بأن الإسلام ليس ديناً مستقلاً منزلاً بل بدعة أو صورة مشوهة من صورة المسيحية"^(١).

وبالرغم من المحاولات التي ظهرت هنا وهناك في الوسط الأوروبي لرسم صورة أفضل عن الإسلام ونبى الإسلام إلا أن "الصورة الخيالية للنبي الذي حُرّف اسمه إلى (ماهوند)"^(٢)، استمرت قائمة على المستوى الشعبي، ومن ثم أصبح العدو الأكبر لليهودية الغربية الناشئة، وأصبح يرمز لكل ما نتمنى أن نفيه عن ذاتنا..."^(٣). ولم يتمكن أولئك الرجال المسيحيون الذين -كما يعدهم بعض المستشرقين- يمثلون بدايات عصر التعقل والنظرة العقلانية لم يتمكنوا من التخلص من تلك الصورة التي صورت المسلمين هراطقة أو وثنيين، ولا يزال في تصور بعض رواد التعقل في تلك الحقبة مثل (غليوم الطرابلسي) يرى أن الرسول ﷺ قد "أغوى كثيراً من الشعوب للدخول في عقيدته من خلال تشجيعه إياها على الحصول على الملذات والشهوات الحسية أو عن طريق الوعود التي قطعها لها ضمن هذا التوجه الغريزي"^(٤).

(١) المرجع السابق، ص ٣٧.

(٢) عدّ جورافسكي هذا التحريف وهذه التصورات المسيحية الأوروبية المشوهة مضحكة للغاية، ينظر:

جورافسكي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ٧٥.

(٣) كارين أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص ٣٧.

(٤) أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ٨٣-٨٤.

وبالرغم أن (غليوم الطرابلسي) أشار في كتاباته إلى "ملاحح، وسمات عامة مشتركة بين الإسلام والمسيحية، حيث يعتقد أن عقيدة المسلمين قريبة من الإيمان المسيحي"^(١)، إلا أنه لا يزال "يشوّه بشدة صورة محمد وسيرته التي يلونها بكثير من الحكايات الخرافية المتناسبة مع عصر المؤلف ووسطه (الثقافي - الأيديولوجي)^(٢)." وفي الوقت الذي عدّ بعض المستشرقين منتصف - أو بداية - القرن الثاني عشر - للميلاد بداية حقبة جديدة متعلقة في نظرها إلى الإسلام، إلا أن الحقائق تؤكد أنه بداية عصر التناقض والتشتت، ومحاولة للبحث عن الهوية، وصدّ العدو - وهو الإسلام - من الانتشار أو التأثير في المسيحية أو المسيحيين، يؤكد ذلك أن من عدّ هذه الفترة "بداية انتشار نظرة أدق للإسلام" هو نفسه يقرر أن "ازدياد الموضوعية لم يبلغ القوة الكفيلة بتبديد الأساطير المعادية للإسلام، بل استمرت الحقائق والأوهام في امتزاجها وتوافقها، بحيث ظلت الأحقاد القديمة تُطلّ برأسها في بعض الأحيان... إذ ظلت صورة محمد صورة رجل منشق"^(٣)، "وحتى عندما كان البعض يحاول الإنصاف والموضوعية، أو الدعوة لرسالة المسيحية بين المسلمين، كان العداء يتفجر، وكان أحياناً ما يتخذ طابع العنف الشديد"^(٤).

ويرى المستشرق (أليكسي جورافسكي) أن "الفترة الواقعة بين القرن الرابع عشر للميلاد، والنصف الأول من القرن الخامس عشر للميلاد قد شهدت نوعاً من

(١) المرجع السابق ص ٨٥.

(٢) المرجع السابق ص ٨٤.

(٣) كارين أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص ٤٦.

(٤) المرجع السابق ص ٤٩.

الفتور في الاهتمام الأوروبي تجاه الإسلام وأوضاع المسلمين عمومًا، تميز منتصف القرن الخامس عشر للميلاد بتحول واضح في هذا الاتجاه" وذلك بعد أن استولى العثمانيون على البلقان والقسطنطينية^(١)؛ لأن "ما سمي بـ(مشكلة الإسلام) هيمنت من جديد على عقول الأوربيين وكتاباتهم" وبرزت مواقف جديدة فيما يتعلق بالنظرة إلى الإسلام بوجه عام، إذ طالب بعض رواد هذه الفترة من المسيحيين "بضرورة الكشف عن الفوارق والاختلافات الواقعية" والبحث عن الأمور المشتركة بين الإسلام والمسيحية، ولمعت فكرة وضع أساس راسخ للحوار بين ممثلي هاتين العقيدتين، وحاولوا استقاء بعض المعلومات عن الإسلام من التجار الأوربيين الموجودين في بلاد الشرق المختلفة^(٢).

والمستشرق (سوذن) الذي أطلق على الفترة من بداية القرن الرابع عشر - وبدايات عصر النهضة (لحظة الرؤيا)، وهي لحظة انتهت في نظره بخيبة الأمل؛ لما اكتنفها من طرق متعرجة وأسباب غموض وضياح^(٣)، فالذين "زاروا ديار الإسلام طوال القرن الرابع عشر ومطالع الخامس عشر من الأوربيين" لا تزال نظرتهم إلى الإسلام نظرة "مليئة بالحقْد" ولا يزال المسلمون في تصورهم "خنازير وحيوانات وأبناء بعل وعباده، وأبناء سدوم..."^(٤) وأما الرسول ﷺ فإنه "كاردينال طمح لمنصب البابوية وعندما فشل في الوصول إلى المنصب تحول إلى عدو شرس للمسيحية كلها"^(٥).

(١) أليكسي جوارافسكي، ص ٨٨-٨٩ باختصار وتصرف.

(٢) أليكسي جوارافسكي، ص ٨٨-٨٩ باختصار وتصرف.

(٣) سوذن - صورة الإسلام والمسلمين في أوروبا في العصور الوسطى، ص ١١٦.

(٤) المرجع السابق ص ١١٧.

(٥) المرجع السابق ص ١٢١.

وتميز القرن الخامس عشر بنظرة ساخطة من رجال معتبرين إلى واقع مجتمعاتهم وحالتهم الفكرية السائدة في ذلك الوقت والتي أجملها (توماس الغسقوني) بقوله: "كثرة الشيع المسيحية، وتعدد الآراء وتناقضها في أوساط المسيحيين في كل القضايا الدينية المهمة، وحياة المعصية والشهوة التي يجيهاها المسيحيون، وكفر المسيحيين عمليا بدينهم..."^(١).

وأحدث امتداد الإسلام وزحف جيوشه إلى أوروبا الغربية "ردة فعل أوروبا على الإسلام الزاحف مزيجاً من الخوف والأمل، ولم تكن هناك دواع للتفاؤل" وحقبة (الرؤيا) التي عنون بها سوذرن فصله الثالث هي في حقيقتها فترة تقع ما بين ١٤٥٠م-١٤٦٠م فقط^(٢).

وعندما وصل الخطر العثماني الإسلامي إلى الذروة، انفجرت في أوروبا من جديد [مطلع القرن السادس عشر] حقبة من التصورات النشورية الوسيطة في روحها مذكّرة بنبوات القرن التاسع الميلادي^(٣). "والتصورات المتكونة في أذهان الأوروبيين عن الإسلام وفق القوالب النمطية التي سادت في القرون الوسطى، تبين الوقائع المؤكدة أنها كانت راسخة بصورة عجيبة، حيث أعطت مؤشرات واضحة على تأثيراتها في القرون اللاحقة"^(٤).

(١) المرجع السابق ص ١٢٩.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٨، حيث قال: "لقد سميت عقد السنين الواقع بين ١٤٥٠-١٤٦٠م حقبة الرؤيا وهي السنوات التي أقبل فيها الرجال الأربعة الذين ذكرناهم على معالجة القضية الإسلامية والتداول بشأنها".

(٣) سوذرن، صورة الإسلام والمسلمين في أوروبا في القرون الوسطى، ص ١٥٠.

(٤) أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ٩٠.

وتحت عنوان (نظرة الديانتين المسيحية واليهودية للإسلام) يقول (غراهام فيلر): "وختامًا نصل إلى نظرة اليهودية والمسيحية إلى الإسلام منذ ظهوره - وهو الدين الوافد الجديد- وهي نظرة لم تتسم بالرأي الحسن، فعلى النقيض من قبول الإسلام لأجزاء كبيرة من العهدين القديم والجديد^(١)، رفضت كل من اليهودية والمسيحية محمدًا حتى كنيي الله، ولا عجب في ذلك، فهم دائمًا يرفضون، ولقد عاملته المؤلفات المسيحية على مر العصور باعتباره زنديق، بل هو الشيطان ذاته، وأنه سيعذب في أسفل قاع الجحيم كما ورد في مسرحية (دانتلي)..."^(٢).

"وعدّ الكتاب المسيحيون الغزو العربي أنه عقاب من الله على خطاياهم... وأضاف المعلقون لاحقًا تفاصيل رهيبية حول الميول الجنسية للنبي محمد وتعدد زوجاته" ورسمت صورة كاريكاتورية خيالية ممجوجة عن النبي ﷺ، حيث صوروه أنه "ساحر يستطيع الارتفاع في الهواء، وسبح قبره في الهواء..."^(٣)، وقدّم الرهبان

(١) إن كان يرمي المستشرق من عبارته هذه أن الإسلام أخذ عن اليهودية والمسيحية وتأثر بهما، أو أن الرسول ﷺ قد اطلع على كتبهم وأخذ عنهم كما يزعم بعض المستشرقين، فالقول غير صحيح، أما إذا كان القصد هو اتفاق الإسلام مع اليهودية والمسيحية في بعض الأمور التشريعية والعقدية العامة باعتبار أن مصدر الأديان الثلاثة واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، ولذلك كان من الطبيعي أن تشترك هذه الأديان في عدد من الأمور الأساسية، فالكلام صحيح بهذا المعنى.

(2) Finally, we have the retrospective views of Judaism and Christianity looking back upon Islam, the newcomer religion among them – and the view is much less charitable. In contrast to Islam's acceptance of huge parts of the Old and New Testaments, both Judaism and Christianity reject Muhammad even as a prophet of God. Not surprisingly, they also repudiate the idea that the Old Testament and New Testament messages can in any way be "updated" by Muhammad. Muhammad is treated in much Christian literature over the ages as a heretic, even a devil, including being cast into one of the lowest circles of Hell in Dante's Inferno. Graham E. Fuller, A world Without Islam, Back Bay Books, New York, 2010, P.35-36.

(3) "...Christian writers saw such "Arab" intrusions as God's punishment for their sins,

=

والأساقفة الأسبان سيلاً من الكتابات اللاهوتية ذات وجهات معادية للإسلام تختلف قليلاً عما صدر قبلها...^(١).

والقرن الثامن عشر - وهو قمة عصر التنوير - ظهرت فيه رؤية عن الإسلام ورسوله ﷺ، تتسم بشيء من الموضوعية ورفض للصورة النمطية التي رسمتها القرون الوسطى، واستقرت في ذاكرة أوروبا، "فقد ظهر أثناء عصر - التنوير اتجاه جديد في النظرة إلى الأديان ومن بينها الإسلام"^(٢)، ففي هذه العصور أدمج تاريخ الإسلام في التاريخ العالمي، ظهر مجموعة من المستشرقين - ولا سيما الألمان - الذين سعوا لكتابة شيء من الإيجابية عن الإسلام ونبي الإسلام ﷺ.^(٣)

وترى المستشرقة (شيميل) أن القرن التاسع عشر - يمثل النظرة العلمية إلى الإسلام، ظهر ذلك الاتجاه في الكتابات التي حاولت أن تفصل بين ما يتعلق بالأحداث التاريخية، والأساطير الدينية، مع بقاء بعض الكتابات التي لا تزال ترسم صورة سلبية عن محمد ﷺ.^(٤) و"القرن الثامن عشر - شهد بعض الجهود الرامية إلى

especially sexually related sins... Later commentators added lurid details about Muhammad's Sexual proclivities and numerous wives. He has magician who could rise in the air, and following his death, according to widespread reports, his tomb levitated from a series of cleverly hidden magnets"
Fredrick Quinn, The Sum of all Heresies: The Image of Islam in Western Thought, Oxford University Press, 2008, P.28.

(1) "... Spanish monks and bishops produced a stream of theological writings whose hostile perspectives towards Islam differed little from what had gone before..." Ibid, P. 30.

(2) During the Enlightenment there slowly emerged a new approach to religions, including Islam" Annemarie Schimmel, P.2-3.

(٣) ينظر المرجع السابق ص ٣-٦ حيث أشارت المستشرقة (أنيميري شيميل) إلى بعض الكتابات التي اتسمت بشيء من الإنصاف تجاه الإسلام ونبي الإسلام ﷺ.

(4) "It was in the nineteenth century that a schorary approach to Islam began. In 1842

وضع تفهم أكثر دقة للإسلام، وظهرت إصدارات لكتابات مستشرقين تحمل في طياتها نظرة إيجابية عن الإسلام ورسوله ﷺ، فلم يعد الإسلام في تلك الكتابات الدين الذي انتشر بالسيف، وأصبحت الدولة الإسلامية تتسم بالتسامح أكثر مما تتسم به التقاليد المسيحية، ووصف الرسول ﷺ باعتباره مفكرًا سياسيًا عميق الفكر... بل استطاع بعضهم - كما تقول كارين أرمسترونج - "أن يستشف المسحة الربانية في حياة محمد ونزول الإسلام... ونمت إبان القرن الثامن عشر أسطورة أخرى تصور محمدًا على أنه رجل حكيم من رجال التشريع العقلاني..."^(١).

والمأمل في عصور النهضة والتنوير والاستعمار يقف على التناقض الذي أصاب أوروبا والغرب تجاه النظرة على الإسلام فالكتاب (المستشرقون) بين اتجاهين: اتجاه يُعدُّ امتدادًا لكتاب العصور الوسطى مع تغيير طفيف في طبيعة الاتهامات التي يرمون بها الإسلام ورسوله ﷺ، واتجاه حاول أن يكون علميًا منصفًا رافضًا للصورة الموروثة عن آباء الكنيسة وأدب القرون الوسطى، والحق إن تلك الكتابات - وإن لم تسهم في تغيير الصورة النمطية الشعبية في الغرب، إلا أنها ساهمت في إبراز كثير من

Gustav weil tried to describe the life of the prophet by separating what appeared to be historical events From Later Pious legend ... Sprenger and Margoliouth tended to draw a rather negative picture of Muhammad..." Ibid, P.5.

(١) ينظر في ذلك كله كارين أرمسترونج ص ٥٧، ومع أن الباحث له تعليقات على ما ورد في هذا السياق ولم يناقشه؛ لأنه ليس محلاً للمناقشة هنا، إذ الهدف من إيراد هذه الشهادات والأقوال هو بيان شيء من التغيير في الصورة التي رسمتها أوروبا في العصور الوسطى عن الإسلام ورسوله ﷺ عن تلك التي ظهرت في أوروبا الحديثة التي لا ينكر أحد ظهور اتجاه إيجابي ومتعقل في النظر إلى الإسلام ونبي الإسلام ﷺ وبالتالي الحضارة الإسلامية، ومع ذلك فإن امتداداً للصورة المرسومة عن الإسلام ورسوله ﷺ في العصور الوسطى لا يزال باقياً ومستمرًا.

الجوانب الإيجابية للإسلام والرسول ﷺ والحضارة الإسلامية، وتوثيق ذلك من خلال الدراسات التاريخية المنصفة أو النظرة العلمية المستندة إلى الموضوعية والإنصاف والحيادية^(١).

"وبالتدرج بدأت بعض التعليقات المعزولة تعترف بفضل تعاليم الرسول، وفي الوقت الذي كانت معظم الأماكن تحتقره، وتعجب به أماكن أخرى وأصبح الإسلام حقيقة أكثر تعقيداً في الغرب"^(٢).

ويسعى المستشرق (جراهام إي-فيللر) إلى محاولة "إقناع القارئ بأن الأزمة الحالية في العلاقات بين الشرق والغرب أو بين الغرب والإسلام لم يكن سببها الأساس هو الدين، بل مزيج من الانقسامات والمصالح والتنافسات والصدمات السياسية والثقافية"^(٣).

وأما (مارك جراهام) فيرى "أنه إذا كانت هناك مشكلة مع التاريخ الإسلامي، فإنها مع بعض أولئك الذين كتبوه، فمن وجهة نظر هؤلاء العلماء فإن أقول الإسلام كقوة ثقافية وسياسية يحتاج إلى تطهيره بعناية وبوجهة نظر مناسبة دينية وثقافية، وفي الحقيقة إن الحضارة الإسلامية يجب أن تدرس بعناية؛ لتعلم منها أنواع الدروس

(١) ينظر: جاذبية الإسلام ص ٤٤-٤٨، وكارين أرمسترونج، سيرة النبي محمد، ص ٥٧-٦٤.

(2) "In the end, I hope to persuade the reader that the present crisis of East-West relations, or between the West and "Islam" has really very little to do with religion and everything to do with political and cultural frictions, interests, rivalaries, and clashes".
Graham E.Fuller, A world Without Islam, P. 16.

(3) "...and gradually an isolated few commentaries acknowledged some merit to the Prophet's teaching. Reviled in most places, but admired in others, Islam was becoming a more complicated reality in the west".
Fredrick Quinn, The sum of All Heresies: The Image of Islam in Western Thought, P.37.

الصحيحة، وهذا التوجيه التاريخي ساهم في طمس دور الإسلام في التاريخ الأوروبي، والاسم المناسب له هو المستشرق^(١). واختتم المستشرق نفسه كتابه (كيف خلق الإسلام العالم الجديد) بقوله: "من العدل الإشارة إلى أن بعض العلماء الذين استقيت منهم معلوماتي هم مستشرقون، وفي الوقت الذي يتعين إكبار بعض المستشرقين لعلمهم الرائع، فإن بعض المؤثرين منهم يزدرون الإسلام وإسهاماته؛ لأسباب سياسية (أو/و) دينية. وأملتي دائماً أن نرسم عهداً جديداً؛ لأن السيطرة على التاريخ ستقلنا من أيدي الكراهية، إلى أذرع التعاون على الأخوة. دعونا نفعلها"^(٢).

(1) " If there is any problem with Islamic history, it with some of those who write it. For

these scholars Islam's decline as a cultural and political Power needs to be carefully framed by the proper point of view, religiously be engineered so that we learn the right kinds of lessons. This historical engineering has bee instrumental in silencing Islam's role in Western history. The proper name far it is orientalism". Mark Graham, How Islam Created The Modern World, P178-179.

(2) "It is only fair to point out that some of the scholars I've drawn my information from

are Orientalists. While many orientalists should be credited for their exceptional scholar ship, some of the most influential of them actively despise Islam as well as its many adherents for political and/or religious reasons. My hope has always been that a new era is drawing where control over history will pass from the hands of hate into the collective arms of brother and sister hood. Let us make it so". Ibid, P.196.

المبحث الثالث

مواقف المستشرقين الإيجابية تجاه الحضارة الإسلامية

التأمل للدراسات المستشرقية عن الإسلام عمومًا وحضارته على وجه الخصوص، يجد نفسه أمام فريقين متناقضين: فريق يعتمد النظرة العلمية الموضوعية، وآخر يعتمد النظرة المتحيزة. والفريق الأول قادر على "معالجة ما يتعلق بالإسلام معالجة موضوعية ويقترّب من الحقيقية، بينما يندفع الفريق الآخر باتجاه القطب المعاكس، فيقف موقفًا مضافًا يتأرجح بين السباب والشتيمة، وبين الحكم المنحاز"^(١). وفي الوقت الذي يمكن أن نقف فيه على شهادات إيجابية من عدد المستشرقين عن الإسلام وحضارته، نقف أيضًا على "ركام من شهادات أخرى سلبية موقفًا مضافًا"^(٢) من الإسلام وحضارته، ولا شك أن مواقف المستشرقين السلبية تفوق كثيرًا تلك المواقف الإيجابية، بل ربما تكون الأكثر انتشارًا ورواجًا، ومن هذا المنطلق كان لابد من إبراز المواقف والشهادات المستشرقية الإيجابية تجاه حضارة الإسلام، إقرارًا لحق أولئك المستشرقين، وتأكيدًا على أن ما تضمنته الحضارة الإسلامية من عناصر الجذب والقوة سافت هؤلاء المستشرقين للإدلاء بشهاداتهم الإيجابية، وإن شابتها مواقف أخرى لهم، أو استنتاجات سلبية في مواطن ومواقف أخرى.

لا شك في أن صفحات الدراسة لن تتسع لرصد أو تتبع كل -أو جل- ما سطره المستشرقون من شهادات إيجابية عن الإسلام وحضارته وحسبي أن أنتقي

(١) عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام...، ص ١١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢.

أنموذجًا من تلك الشهادات والمواقف الإيجابية.

أكد عدد من المستشرقين تأثير الحضارة العربية الإسلامية في الغرب، وتفوقها في عدد من المجالات والفنون. "وإذا أراد المرء تصور تأثير الشرق في الغرب، وجب عليه أن يتمثل حال الحضارة التي كانت عليها شعوبها المتقابلة، فأما الشرق فكان يتمتع بحضارة زاهرة بفضل العرب، وأما الغرب فكان غارقًا في بحر من الهمجية..."^(١).

"والمسيحية برمتها كانت بعيدة عن العلاقة الودية مع الحكمة اليونانية، وبالفعل كان حشد من المسيحيين أحرقوا مكتبة بالغة النفاسة في الإسكندرية قبل قرون، والملك المسيحي جستنيان هو من أغلق أكاديمية أفلاطون في ٥٢٩م، وطرد علماءها إلى بلاد بعيدة..."^(٢).

ولم يقف "أثر العرب والإسلام في تاريخ أوروبا في تاريخ العصور الوسطى عند التغييرات السياسية التي أحدثوها في أوضاع العلم المعروف، وإنما يبدو هذا الأثر أشد ما يكون وضوحًا في الميدان الحضاري..."^(٣).

ولقد "كان تأثير الإسلام في أوروبا (في القرون الوسطى) شاملاً ميادين كثيرة، ومهمناً على جوانب متعددة، ويمكن القول إن هذا التأثير عمّ -بدرجة كبيرة أو

(١) "لوبون"، حضارة العرب، ص ٣٣٤.

(2) "But Christianity as a whole had a far from amicable relationship with Greek wisdom. Indeed, it was a Christian mob that torched the priceless library at Alexandria centuries before. And it was a Christian king -Justinian- who closed Plato's academy in 529 and sent its scholars packing to the distant lands. Mark Graham, How Islam Created The Modern World, P.45.

(٣) سعيد عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، نقلاً عن:

Pirenne: A history of Europe, P.48.

صغيرة- مستويات الحياة الأوروبية جميعًا، ونال أكثر المجالات والبنى اختلافًا وتباعدًا، بما في ذلك النواحي المعيشية والتجارية والاقتصادية والتقنية والسياسية والآداب والعلوم والفلسفة والدين"^(١). هذا الشمول في الإسلام وحضارته كان له وقع كبير على بعض المستشرقين، فشهد بسمو الفتح الإسلامي، فقال: "انجلي الفتح الإسلامي عن إمبراطورية جديدة ما أوسعها، وعن حضارة ما أسطعها، وعن مدينة ما أروعها، عوّل عليها الغرب في تطوره الصاعد، ورقية البناء، بعد أن نفخ الإسلام في قسم موات من التراث الإنساني القديم روحًا جديدة عادت معه إليه الحياة..."^(٢).

"وانفجر البحث الفلسفي والعلمي من بغداد بالطاقة الناتجة عن نجوم انفجرت فجأة، فاستخدم المسلمون الحكمة اليونانية المكتشفة لديهم حديثًا في إحداث ثورة علمية في كل المعرفة: الفلك، والرياضيات، والجغرافيا، والفلسفة، والفيزياء، والكيمياء، والطب، والتاريخ، والأدب، والبستنة، والموسيقى، والهندسة وغيرها، وبحلول نهاية القرن التاسع كان الإسلام أعظم قوة فكرية شهدها العالم"^(٣).

ويرى بعض المستشرقين أن "الغرب بقي في تأخره ثقافيًا واقتصاديًا طوال الفترة التي عزل فيها نفسه عن الإسلام ولم يواجهه، ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسيًا وعلميًا وتجاريًا، واستيقظ الفكر الأوروبي على

(١) "أليكس جوارفكسي" الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ص ٣٣.

(٢) "إدوار بروي" تاريخ الحضارات العام، ١٠٩/٣.

(3) Philosophical and scientific inquiry burst out of Baghdad with the energy of a supernova. Muslims took the recently-discovered Greek wisdom and used it to create a scientific revolution in every field known to humans- astronomy, mathematics, geography, philosophy, physics, chemistry, medicine, history, literature, horticulture, music, engineering, navigation. By the end of the ninth century, Islam was the greatest intellectual power the world had ever seen. Mark Graham, How Islam Created the Modern World, P.46.

قدوم العلوم والآداب العربية من سبأه الذي دام قرونًا ليصبح أكثر غنى وجمالاً وأوفر صحة وسعادة"^(١).

افتتح (مارك جراهام) كتابه (كيف خلق الإسلام العالم الحديث) بقوله: هذه قصة مطلوبة حكايتها لا محالة، وقد نُسِيت على نطاق واسع، وبقاياها محتّطة في المجالات والنصوص الفنية التي لا يطلع عليها إلا متخصصون معدودون، وإذا قرأت في كتب التاريخ للمدارس الثانوية وتاريخ العالم في أكثر المراحل الجامعية ستلاحظ أن هذه القصة غائبة، وهي قصة تحكي كيف أن الدين الذي طفق الكثير يرونه همجياً ونقيضاً للعصرانية أنشأ إمبراطورية من الروعة والثروة لم يشهده العالم، وهي قصة كيف أن تراثاً نفيساً من المعرفة لم يُحم فقط، بل أعيد تصوره وبنائه، وهي قصة كيف ولدت أوروبا القروسطية (أي أوروبا القرون الوسطى) النهضة الأوروبية.

وهذه القصة هي كيف صنع الإسلام العالم الحديث"^(٢).

"والحقيقة على عكس الأسطورة، وهي ما لا يراد سماعه في كثير من الأحيان، وربما كان أسوأ البدع أن يقال إن أوروبا لم تتعلم شيئاً من الإسلام في أي وقت مضى. ولكنها تعلمت بالجلوس عند معلمها المسلمين لمدة خمسمائة عام، وبعيداً عن

(١) "زيغريد هونكه" شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٥٤١.

(2) This is story that. Needs to be told. It is a story that has largely been forgotten, its

remnants embalmed in technical journals and texts that only a handful of specialists read. Open any high school history textbook and you will see this story noticeably absent, as you would in most undergraduate world history surveys. It is the story of an empire of wealth and splendor the like of which the world had never seen. It is the story of how a precious heritage of knowledge was not simply preserved but reconstituted and reimagined. And it is the story of how medieval Europe gave birth to the Renaissance.

This is the story of how Islam creted the modern world.

Mark Graham, How Islam Created The Modern World Amana Publications, USA, 2006, P.15.

كونهم حواضن أو حواظف كان المسلمون كل الأشياء التي حرمتهم الكتب: الفنانون، والشعراء، والفلاسفة، وعلماء الرياضيات والكيمياء والفلك والفيزياء، بل باختصار كانوا متحضرين في حين كانت أوروبا تتمرغ في الهمجية، وحضارة المسلمين كانت أعظم حضارة في الحجم والتكنولوجيا شهدها العالم، بل أثرت بشكل مباشر في صناعة أوروبا ككيان ثقافي وقوة في العلم والسياسة، ومع كون البعض غير راغب في الاعتراف بذلك فإن العالم الإسلامي هو العملاق الذي على كتفيه قام عصر النهضة الأوروبية^(١).

"لقد كان للإسلام عظيم الأثر على العالم أجمع باعتباره واحداً من أعظم وأقوى الحضارات المستمرة في التاريخ. ولم تستمر أي حضارة أخرى طويلاً وبهذا التوسع المترامي الأطراف مثل الإسلام، كما أنني أكن احتراماً بالغاً للثقافة والفنون والعلوم والفلسفة والحضارة الإسلامية وللمسلمين كأشخاص. ولا شك أن العالم كان سيصبح مكاناً مقفراً بدون الإسلام. كما أننا لا نتجاهل أن الإسلام قد صنع هذا الصرح العملاق المتميز -ألاً وهو "العالم الإسلامي" - والذي يجمع أعداداً هائلة من الأفراد والدول والثقافات والأعراق المختلفة التي لم يكن ليجمع بينها سواه"^(٢).

(1) "Truth, unlike myth, is frequently what we do not want to hear. And perhaps the most

heretical thing to say is that Europe ever had anything to learn from Islam. But learn it did, sitting at the foot of its Muslim teachers for half a millenium. Far from being incubators or preservers, Muslims were all the things those textbooks deny them being: artists, poets, philosophers, mathematicians, chemists, astronomers, physicists. In short, they were civilized at a time when Europe was wallowing in barbarism. Muslim civilization was the greatest in size and technology that the world had ever seen. And far from existing in a vacuum, it directly impinged on the creation of Europe as a cultural entity and as a scientific and political power. As much as some are loathe to admit it, the Islamic world is the giant on whose shoulders the European Renaissance stood".

Mark Graham, How Islam Created The Modern World, P.39.

(2)Islam has had great impact upon the word, as one of the greatest and most power full

ويؤكد بعض المستشرقين أنه "لو لم يظهر الإسلام لكان العالم أقل ثراء ثقافيًا وفكريًا"^(١)، ولذلك فإن "الإسلام العربي الشامل في الإنجازات التي أثرت تأثيرًا مباشرًا في الغرب المعاصر"^(٢)، وعدم ظهور كثير من أسماء علماء المسلمين الذين كان لهم دور في الحراك الحضاري والعلمي يعود إلى "التجاهل الغربي والإجحاف الواضح المناهض للمسلمين"^(٣).

ويكاد تجمع ثلة كبيرة من المستشرقين على الاعتراف بفضل الحضارة الإسلامية في الأندلس على حضارة أوروبا، إذ تعدّ فترة حكم المسلمين للأندلس فترة ذهبية للحضارة الغربية، حيث "لم تنعم الأندلس طوال تاريخها بحكم رحيم، عادل، كما نعمت به أيام الفاتحين العرب، ذلك حكم يصدره مستشرق مسيحي عظيم، قد

continuous civilizations in history. No other civilization has lasted as long over such a broad expanse of the world as Islam. I have immense regard for Islamic culture, arts, sciences, philosophy, and civilization, and for Muslims as people. The world be a much more impoverished place in the absence of Islamic civilization. Nor I do ignore the fact that Islam has Created a powerful and distinct edifice- the "Muslim world-linking large numbers of diverse peoples, states, cultures, and climes in ways that might not otherwise be the case.

Graham E. Fuller, A world without Islam, Back Bay Books, 2011, P.11

(1) "If there had been no Islam, the world would have less rich culturally and intellectually.
Ibid, P.36

(2) "Even more important than any individual work was the Arabs's overall contribution that lies at the very heart of the contemporary west..."
Jonathon Lyons, The House of wisdom: How the Arabs Transformed Western Civilization, Bloomsburg publishing PLC, 2010, P.5.

(٣) كُتِبَ على غلاف الكتاب المقولة التالية (William Dalrymple): "كتاب مهم ومدهش ولأول مرة يظهر الدّين الغربي للعلوم العربية في القرون الوسطى بأسلوب واضح ومقبول.

A wonderful and important book which for the first time presents the Western debt to mediaeval Arabic Learning in a clear and accessible manner

(4) "yet these were just a few of the players in an extraordinary Arab scientific and philosophical tradition that lies hidden under centuries of Western ignorance and outright anti-Muslim Prejudice". Ibid, P.4.

يتطلب تحمسه شيئاً من التقليل من ثنائه، لكن هذا الحكم -بعد أن تُنقِص منه ما عساه أن يكون فيه من التحمس- يظل مع ذلك قائماً صحيحاً^(١).

ويؤكد بعض المستشرقين أن "الحكم الإسلامي أعاد لأسبانيا ازدهارها من جديد، واسترد اقتصادها عافيتها، وعادت الحياة الثقافية إلى رونقها... علاوة على ما قدمه العلماء المسلمون إلى أوروبا من أرقام هندية عربية ورياضيات متطورة وتقنيات طبية حديثة وتوجهات محدثة في الفلسفة"^(٢).

والصفات الحسنة التي اتصف بها المسلمون، وسطرتها كتب التاريخ، صفات منبثقة من تعاليم الإسلام، "فالإسلام من أكثر الديانات ملاءمة لاكتشاف العلم، ومن أعظمها تهدياً للنفوس وحملًا على العدل والإحسان والتسامح..."^(٣)، ولاشك أن صفة التسامح التي اتصفت بها الحضارة الإسلامية منبثقة من مصادر تشريعه، "فما أكثر ما في القرآن والحديث من الأمر بالتسامح، وما أكثر ما عمل فاتحي الإسلام بذلك، ولم يروِ التاريخ أن المسلمين قتلوا شعباً..."^(٤).

ويكاد يجمع المؤرخون أن الحضارة الإسلامية أشعلت مصابيح العلم والمعرفة، وبددت بنورها ظلام العصور الوسطى في العالم كله، وفي أوروبا على وجه الخصوص

(١) "ديورانت" قصة الحضارة، ١٣/٢٩٢، مع أن "ديورانت" عدّ أن ما قاله المستشرق المسيحي مبالغاً فيه، لم يستطع أن ينكر الحقيقة، واعترف بها.

(2) "Under Muslim role Spain once more, her economy resuscitated and cultural Life revived... Islam's scholars now introduced Europeans to Hindu-Arabic numerals, her mathematics, new medical techniques, and fresh approaches to philosophy".
A Vanished World: Muslims, Christians and Jews in Medieval Spain, Chris Lowney, Oxford university Press, 2005, P.5.

(٣) "لوبون" حضارة العرب، ص ١٢٦.

(٤) "درمنغم" حياة محمد، ص ٣٧٠.

حين كانت تغط في سباتها العميق، وتسبح في بحر الجهل والفقر والفوضى.
لقد "سطع نور العلوم العربية الإسلامية سطوع القمر ناشراً إشعاعه ليبدد
أحلك ظلمات العصور الوسطى في أوروبا"^(١).

والمتتبع لمآثر الحضارة العربية الإسلامية في شتى العلوم يدرك يقيناً "ليس من
قبيل المصادفة أن يحتل العلم المكانة الأولى، فبالعلم عملياً، استوطنت الحضارة
الإسلامية في إسبانيا، استيطاناً مديداً لدرجة أن ذكراها لما تنزل في الذاكرة حتى
اليوم"^(٢).

وتملك بعض المستشرقين العجب من "الهمة التي أقدم بها العرب على البحث،
وإذا كانت هنالك أمم تساوت هي والعرب في ذلك، فإنك لا تجد أمة فاقت العرب
على ما يحتمل، والعرب كانوا إذا ما استولوا على مدينة صرفوا همهم إلى إنشاء مسجد
وإقامة مدرسة فيها، وإذا ما كانت تلك المدينة كبيرة أسسوا فيها مدارس كثيرة، ...
هذا عدا اشتغال المدن الكبرى كبغداد والقاهرة وطليلطة وقرطبة ... على جامعات
مشمتملة على مختبرات ومراصد ومكتبات غنيّة، وكل ما يساعد على البحث
العلمي..."^(٣). ومن المستشرقين من اعترف بأنه "لا يكاد يوجد شيء من جهود
المسلمين في ميدان العلوم لم يتأثر به الغرب بطريق أو بآخر"^(٤).

(١) محمد أبو حسان، دور الحضارة الإسلامية في تكوين الحضارة الغربية، ص ٣٤٢ نقلاً عن John Bowle،

الإنسان عبر العصور، ص ١٥٨.

(٢) "جاك ريسلر" الحضارة العربية، ص ١٦٩.

(٣) "لوبون" حضارة العرب، ص ٤٣٤.

(٤) عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، ص ٣٤، نقلاً عن تراث الإسلام، تصنيف "شاخت" و"بوز

ووث"، ٧٩/٣.

إن "الحضارة العربية أعلنت على جبين جامعاتها بأحرف من ذهب: للعالم أربعة أركان: علم الحكماء، وعدل العظماء، وصلاة الصالحين، وقوة الشجعان"^(١).

لقد "تجلى تأثير العرب في جميع فروع الحضارة الأوروبية الحديثة، وظهرت بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر آداب تعدّ من أعظم ما عُرف، وتشهد الإنتاجات المتنوعة والاختراعات المهمة على ما كان يتصف به عرب ذلك الزمن من النشاط العجيب، وبما كان لهم من الأثر البالغ في أوروبية النصرانية، فجاء هذا مسوّغاً للرأي القائل: إن العرب كانوا أساتذة لنا، وما أتى به العرب من الموارد التي لا تقدر بثمن عن تاريخ القرون الوسطى ومن كتب الرحلات ومعاجم تراجم الأحوال من جهة، وما جاؤوا به من صناعة منقطة النظر، ومن مبان دالة على تفكير عظيم، ومن اكتشافات مهمة في الفنون من ناحية أخرى، كلها أمور يجب أن ترفع في أعيننا شأن الأمة العربية"^(٢)، ومن خلال تلك العلوم والفنون العلمية والصناعات التي اكتشفها وأبدعها علماء الحضارة العربية الإسلامية أصبح "العرب وحدهم أساتذة الأمم النصرانية عدّة قرون، [ولم يكن بوسع الغرب] أن يطلع على علوم قدماء اليونان والرومان إلا بفضل العرب، وأن التعليم في جامعاتنا لم يستغن عما نُقل إلى لغاتنا من مؤلفات العرب إلا في الأزمنة الأخيرة"^(٣).

وأما إبداعات الحضارة الإسلامية في علوم الطب والصيدلة والرياضيات

(١) "جاك ريسلر" الحضارة العربية، ص ١٦٩.

(٢) عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، ص ٣٧٤، نقلاً عن تاريخ العرب العام، "الويس سيديو"، ص ٤٩٠-٤٩١.

(٣) "لوبون" حضارة العرب، ص ٤٣٧.

والكيمياء والفيزياء والفلك، والميكانيكا، وعلم النبات، والفلسفة والزراعة، والتجارة، والصناعات المتعددة كصناعة الورق، والنسيج، والخشب والحبر، والورق، والزجاج، والخزف، والعطور، والأزهار، وإبداعاتهم في مجال الملاحة البحرية، والبريد، وإنشاء المستشفيات، وبناء المكتبات، وفي مجال النظم، والفلسفة، والشعر، والأدب، والرسم، والنحت، والزخرفة، وشغفهم في تأليف الكتب، والترجمة. ودعم الحكام والأمراء والملوك للحركة العلمية عموماً... فيضيق المقام عن الحديث عنها، وقد أفرد لها عدد من المستشرقين مؤلفات وأبحاثاً خاصة، أنصفوا من خلالها الحضارة الإسلامية، وعلماء المسلمين، ولا تكاد تجد مستشرقاً ممن درس تاريخ المسلمين، أو الحضارة الإسلامية، أو حضارة العرب وتاريخهم إلا وتملكه الإعجاب والانبهار بذلك الرقي في الحضارة الإسلامية ولا سيما في مجال العلوم والتأليف والترجمة والاختراعات والصناعات، بل وحتى الفلسفة والجغرافيا والطب... وغيرها^(١).

ويُقرّ (ديورانت) بأن عصور التاريخ الذهبية هي تلك التي سادتها الحضارة الإسلامية وأثرى علماءها كافة ميادين العلم والمعرفة بجهودهم واكتشافاتهم فيقول: "وبعد فإن القارئ العادي ستعثره الدهشة من طول هذه الإمامة بحضارة المسلمين، وسيأسف العالم الباحث لما يجده فيها من إيجاز غير خليق بها. إن عصور التاريخ الذهبية دون غيرها، هي التي أنجب فيها المجتمع، في مثل هذا الزمن القصير، ذلك

(١) انظر على سبيل المثال: "غوستان لوبون" حضارة العرب، و"زيغريد هونكه" شمس العرب تسطع على الغرب. "جاك ريسلر" حضارة العرب. و"توماس أرنولد" ترات الإسلام، و"مونتغمري واط" تأثير الإسلام على أوروبا العصور الوسطى، و"جون هامرتن" تاريخ العالم، و"ول ديورانت" قصة الحضارة، و"لويس سيديو" تاريخ العرب العام... وغيرها من المؤلفات الكثيرة التي يصعب حصرها في هذا المقام.

العدد الجم من الرجال الذين ذاع صيتهم في الحكم، والتعليم، والآداب، واللغة، والجغرافية، والتاريخ، والرياضة، والفلك، والكيمياء، والفلسفة، والطب كما أنجب الإسلام في الأربعة القرون الفاصلة بين هارون الرشيد وابن رشد^(١).
وبهذه العبارة افتتح (ستانوود كب) فصله الأول من كتابه (المسلمون في تاريخ الحضارة).

"قليلون من هم على علم بما أسهم به العالم الإسلامي من جهود متميزة في تقدم الإنسانية، حتى في عصرنا الحاضر المستنير! في حين أن هذه الحضارة لم تكن تقود العالم في مجالات طيلة خمسة قرون فحسب، وإنما استوعبت كل طاقة الإنسانية في السعي المنظم وراء المعرفة خلال تلك الفترة. وقد ازدهر العلم والتعليم في ظل النفوذ الإسلامي منذ أن تبوأ بغداد مكان الصدارة والقوة في منتصف القرن الثامن (م) حتى ما بعد التدهور السياسي للمسلمين بعد خمسة قرون، وما من جزء آخر من العالم وقتذاك تميز بمثل هذه الحيوية"^(٢).

وبهذه الخاتمة أنهى المستشرق "ول ديورانت" حديثه في المجلد الثالث عشر- الذي خصصه للحديث عن الحضارة الإسلامية، في موسوعته (قصة الحضارة).
وأما المستشرق (غوستان لوبون) فقد اختتم كتابه (حضارة العرب) بالخلاصة الآتية:

"لقد تمّ الكتاب، ولنلخصه في بضع كلمات فنقول: إن الأمم التي فاقت العرب تمدناً قليلة للغاية، وإنما لا نذكر أمة، كالعرب، حققت من المبتكرات العظيمة

(١) "ديورانت" قصة الحضارة، ج ١٣ / ص ٣٨٧.

(٢) ستانوود كب، ص ٢١.

في وقت قصير مثل ما حققوا، وإن العرب أقاموا ديناً من أقوى الأديان التي سادت العالم، أقاموا ديناً لا يزال تأثيره أشدَّ حيوية مما هو لأيّ دين آخر، وإنهم أنشأوا من الناحية السياسية، دولة من أعظم الدول التي عرفها التاريخ، وإنهم مدّنوا أوروبا ثقافة وأخلاقاً، فالعُروق التي سمت سموّ العرب وهبطت هبوطهم نادرة، ولم يظهر، كالعرب، عرق يصلح أن يكون مثلاً بارزاً لتأثير العوامل التي تُهيمن على قيام الدول وعظمتها وانحطاطها^(١).

واختتمت المستشرقة "زيغريد هونكه" أيضاً كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب بهذه الأسطر): "وباتتهاء السيادة العربية على الأندلس، انتهت أعظم حضارة عرفتها أوروبا في القرون الوسطى، وانتهى عصر عظيم نعمت فيه أسبانيا بالرخاء والخير العميم، فارتفعت صناعتها، واستغلت مواردها، وزاد عدد سكانها، وازدهرت فيها العلوم والآداب والفنون بدرجة لم نعرف له من قبل مثيلاً... وانتقلت الحال في عصر رئيس الأساقفة (خوان كسيمايز) الذي خَلَفَ (تالافيرا) المتسامح، فلم يلبث المسلمون أن لاقوا أهوالاً أفظع من أن توصف سببها التعصب الأعمى... وما تبقى من الكتب والمخطوطات العربية، والذي لم يسلب أو ينهب، جمعه رجال الأسقف بمنتهى العناية، ليوقدوا فيه النار. وهكذا حرقَت يد التعصب مليوناً وخمسة آلاف من المجلدات هي مجهود العرب في الأندلس، وثمره نهضتهم في ثمانية قرون"^(٢).

هذه كانت الحضارة الإسلامية في أفضل حالاتها -ليست عالماً للإرهابيين متخلفاً ضد العالم الحديث، وإنما كانت ثقافة فكرية نابضة بالنشاط ولم تكن تكره

(١) "لوبون" حضارة العرب، ص ٦١٨.

(٢) "زيغريد هونكه" شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٥٣٥.

الغريب ولا مضادة للعقل، بل احتضنت كل شيء نسميه العقل العصري، -العلوم- العقل - التعليم وحتى النموذج المبكر من التعددية الثقافية. أما أنها تغاضت عن ممارسات أخرى غير جيدة كالرق فلا يُنحى إنجازاتها الثقافية، وإذا حدث ذلك سيكون لنا أن لا نشطب على اليونان والرومان فقط بل سنشطب على بريطانيا العظمى والولايات المتحدة كذلك.

أنقذ الإسلام الحضارة اليونانية وزيادة في عهد المأمون؛ بل فعلوا أكثر من ذلك؛ لأن المسلمين أخضعوا هدايا اليونانيين لصناعة إبداعات واختراعات جديدة، ولقد كانت هذه الاختراعات بالضبط في جميع فروع الفنون والعلوم هي التي جعلت جميع الاكتشافات العظيمة التي ستتبع ممكنة^(١).

(1) This was Islamic civilization at its best –not a backward, antimodern world of fundamentalists but a vibrant intellectual culture that was neither xenophobic nor anti-rational. Rather, it embraced everything we call modern and enlightened—science, reason, education, even an early form of multiculturalism. That it condoned other unenlightened practices like human slavery does not disqualify its cultural accomplishments. If it did, we would have to write off not just Greece and Rome but Great Britain and the United States as well. During the reign of al-Ma'mun, Islam saved Greek civilization. But it did more than that, for the Muslims used the gifts of the Greeks to make new creations and inventions. It was precisely these inventions, in all branches of the arts and sciences, that made possible all the great discoveries that would follow. Mark Graham, How Islam Created The Modern World, P.48-49.

توصيات الدراسة

يؤكد تاريخ التفاعل بين الإسلام والغرب أن المستشرقين قاموا - قديماً وحديثاً - بدورٍ فاعلٍ في تحديد نظرة الغرب إلى الإسلام ومواقفه من الحضارة الإسلامية، ولا شك في أن التواصل التاريخي والثقافي بين الحضارتين لم ينقطع منذ لحظة اللقاء الأولى، ولن يقف التواصل عند حدود زمنية، ولا مواقع جغرافية، وسيستمر توغله وتأثيره في الثقافات والشعوب.

ومن هذا المنطلق، يقع على عاتق العلماء والمثقفين في العصر الحاضر بذل الجهود لتأسيس علاقة تبنى على أسس الألفة والتسامح والتعايش بين الشعوب والأمم، كما يقع على عاتقهم واجب فتح باب الحوار الهادئ المتعقل بين الثقافات والحضارات؛ لكسر حواجز العنف والكراهية بينهم. وتأكيداً للنظرة التي ترى "أن الحضارات وحدات في كلٍّ هو أكبر منها وأعظم اسمه التاريخ، فهي مراحل في حياة الإنسانية. إن الحضارة متعددة الأصول، وهي نتاجٌ تعاوني لكثير من الشعوب، والطبقات، والأديان، وليس في وسع من يدرس تاريخاً أن يتعصب لشعب أو لعقيدة، ومن أجل هذا فإن العالم - وإن كان مواطناً في بلده يحبه لما يربطه من صلات وثيقة - يحس أيضاً بأنه مواطن في بلد العقل، الذي لا يعرف عداوات ولا حدوداً، وهو لا يكاد يكون خليقاً باسمه إذا ما حمل معه في أثناء دراسته أهواء سياسية، أو نزعات عنصرية، أو عداوات دينية، وهو يقدم لكلِّ شعب حمل مشعل الحضارة، وأغنى تراثها، شكره وإجلاله"^(١).

(١) "ديورانت" قصة الحضارة، ١٣/٢٨٨.

التوصيات

إن من واجب العلماء والمثقفين بناء جسور التعاون والتواصل العلمي، سواء أكان ذلك بين المؤسسات العلمية على اختلاف مجالاتها، أم بين أفراد العلماء والمثقفين أنفسهم.

إن إنشاء مشروعات ودراسات علمية مشتركة يسهم في بنائها العلماء والمثقفون المنصفون من المسلمين وغير المسلمين، كفيل بأن يوجد روحاً جديدة بين شعوب الأمم المختلفة، تسودها روح التفاهم والتعايش.

إن العلماء والمثقفين وحدهم هم القادرون على إعادة شيء من الألفة بين شعوب الأمم المختلفة، والديانات المتعددة.

ويوصي الباحث بأهمية إقامة اللقاءات والمؤتمرات والندوات المشتركة بين العلماء من المسلمين والمنصفين من غير المسلمين؛ لأن ذلك سيسهم إيجابياً في تصحيح الصورة النمطية السلبية عن الإسلام وحضارته وانتشارها بين المثقفين وغيرهم.

ويوصي الباحث أيضاً بأهمية رصد الدراسات المستشرقية المنصفة التي تبرز الدور الرائد والفاعل للإسلام وحضارته في النهضة التي تشهدها الإنسانية اليوم.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين.

التعريف بأبرز الفلسفات التي وردت في البحث

- ١ - الرومانتيكية أو الرومانسية: مذهب أدبي يهتم بالنفس الإنسانية وما تزخر به من عواطف ومشاعر وأخيلة أيًا كانت طبيعة صاحبها مؤمنًا أو ملحدًا،... ويتصف بإطلاق النفس على سجيتها واستجابتها لأهوائها، وهو مذهب متحرر من قيود العقل والواقعية^(١).
- ٢ - العقلانية: مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي دون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية، وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل؛ لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه^(٢).
- ٣ - الوجودية: مذهب فلسفي أدبي ملحد، وهو أشهر مذهب استقر في الآداب الغربية في القرن العشرين، والوجود الإنساني هو الحقيقة اليقينية الوحيدة في رأيه. ولا يوجد شيء سابق عليها أو بعدها، وتصف الوجودية الإنسان بأنه يستطيع أن يصنع ذاته وكيانه بإرادته، ويتولى خلق أعماله وتحديد صفاته وماهيته باختياره الحر دون ارتباط بخالق أو بقيم خارجة عن إرادته، وعليه أن يختار القيم التي تنظم حياته^(٣).

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة د/ مانع بن حماد الجهني، دار

الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٥ - ٢٠٠٣م، ٨٥٩/٢

(٢) المرجع السابق ٧٩٦/٢.

(٣) المرجع السابق ٨٨٨/٢.

- ٤ - الواقعية: مذهب فكري مادي ملحد، يقتصر في تصويره الحياة والتعبير عنها على عالم المادة، ويرفض عالم الغيب والإيمان بالله، ويصوّر الإنسان بالحيوان الذي تُسيّره غرائزه لا عقله^(١).
- ٥ - المادية: نزعة تقول بأن كل ما هو موجود مادي، أو يعتمد كلية في وجوده على المادة بزعم أنها الحقيقة الوحيدة القادرة على تفسير الحياة والسلوك وتطورهما^(٢).
- ٦ - المثالية: مذهب فلسفي يشمل جانباً كبيراً من المذاهب الميتافيزيقية (ما بعد الطبيعة أو الغيبية) وهي اتجاه فلسفي يبحث عن مسألة الوجود. والمثالية تعطي الأولوية في الوجود للروح على أن يكون وجود المادة ثانوياً^(٣).
- ٧ - البراجماتية أو الذرائعية: مذهب فلسفي اجتماعي يقول بأن الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع، والمعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، ونشأت الذرائعية في القرن العشرين، ووجدت في النظام الرأسمالي الحر الذي يقوم على المنافسة الفردية خير تربة للنمو والازدهار^(٤).

(١) المرجع السابق ٢ / ٨٧٤.

(٢) المرجع السابق ٢ / ١١٣٧.

(٣) المرجع السابق ٢ / ٨١٥.

(٤) المرجع السابق ٢ / ٨٣٢.

فهرس المصادر والمراجع

أ - المراجع العربية:

- ١ - أحمد ساييلوفيتش، (فلسفة المستشرق وأثرها في الأدب العربي المعاصر)، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
- ٢ - محمد الزياي، (المستشرق : أهدافه ووسائله)، دار قتيبة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ٣ - أحمد غراب، (رؤية إسلامية للاستشراق)، المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ.
- ٤ - عبد الله النعيم، (المستشرق في السيرة النبوية)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- ٥ - عمر الخطيب، (لمحات في الثقافة الإسلامية)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٩٨م.
- ٦ - فتحية النبراوي، (المستشرق)، الدار السعودية للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- ٧ - السيد فرج، (المستشرق الذرائع، النشأة، المحتوى)، دار طويق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- ٨ - محمد الشرقاوي، (المستشرق في الفكر الإسلامي المعاصر)، دار الفكر العربي، بدون طبعة.
- ٩ - محمود حمدي زقزوق، (المستشرق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري)، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- ١٠ - سعيد عاشور، (تاريخ أوروبا في العصور الوسطى)، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م.

- ١١- عبد الرحمن الميداني، (الحضارة الإسلامية)، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
- ١٢- عدنان وزان (المستشرق والمستشرقون وجهة نظر)، رابطة العالم الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤ م.
- ١٣- عفاف صبرة، (المستشرقون ومشكلات الحضارة)، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م.
- ١٤- علي النملة، (المستشرق والدراسات الإسلامية المعاصرة)، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
- ١٥- عماد الدين خليل، (قالوا عن الإسلام)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.
- ١٦- مالك بن نبي، (إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث)، مكتبة عمار، ١٩٧٠ م.
- ١٧- محمد أبو حسان، (دور الحضارة الإسلامية في تكوين الحضارة الغربية)، مطبعة السفير، ٢٠٠٩ م.
- ١٨- محمد خليفة، (أزمة المستشرق الحديث والمعاصر)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.

ب- المراجع المترجمة

- ١٩- "إدوار بروي"، (تاريخ الحضارات العام)، يوسف داغر وفريد داغر، منشورات عويدات، ١٩٨٦ م.
- ٢٠- "جاك ريسلر"، (الحضارة العربية)، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.

- ٢١- "درمنغم"، (حياة محمد)، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، دار العالم العربي، الطبعة الأولى، ٢٠١٣ م.
- ٢٢- "ديورانت"، (قصة الحضارة)، ترجمة: محمد بدران، دار الجليل، بدون طبعة.
- ٢٣- "زيغريد هونكه"، (شمس العرب تسطع على الغرب)، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، المكتب التجاري للطباعة، الطبعة الثانية، ١٩٦٩ م.
- ٢٤- "غوستاف لوبون"، (حضارة العرب)، ترجمة: عادل زعيتر، مكتبة الإيمان، عيسى البابي الحلبي.
- ٢٥- "إدوارد سعيد"، (المستشرق: المعرفة، السلطة، الإنشاء)، نقله إلى العربية: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥ م.
- ٢٦- "أليكس جورافسكي"، (الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم)، ت: د/ خلف الجراد، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠ م.
- ٢٧- "ريتشارد سودرن"، (صورة الإسلام والمسلمين في أوروبا في العصور الوسطى)، ترجمة وتقديم: رضوان السيد، معهد الإنماء العربي، بدون طبعة.
- ٢٨- "ستانوود كب"، المسلمون في تأريخ الحضارة، ترجمة: الدكتور محمد فتحي عثمان، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.
- ٢٩- "كارين أرمسترونج"، (سيرة النبي محمد).
- ٣٠- "ماكسيم رودنسون"، (جاذبية الإسلام)، ترجمة: إلياس مرقص، بدون طبعة.
- ٣١-

ج- المراجع الأجنبية:

- 32- A Vanished World: Muslims, Christians and Jews in Medieval Spain, Chris Lowney, Oxford university Press, 2005.
- 33- Annemorie Schimmel, Islam an Introduction, State university of New York Press, 1992.

- 34- Frdrick Quinn, the sum of Heresies: The image of Islam in Western Thought, Oxford university Press, 2008.
- 35- Graham E. Fuller, A world without Islam, Back Bay Books, 2011.
- 36- Jonathon Lyons, the House of wisdom: How the Arabs Trans formed Western civilization, Bloomsburg publishing PLC, 2010.
- 37- Mark Graham, How Islam Created the Modern World. Pirenne: A history of Europe, P. 48.

Abstract:

This research is subdivided into three chapters: The first chapter tackles Orientalism concept, its beginning, stages, and diverse attitudes of Orientalists towards Islamic civilization. The second chapter deals with the beginning of communication of Islamic and western civilization with each other and the nature of relation between them and the factors that affected the formation of European vision to Islamic civilization during Middle Ages.

The third chapter focused on displaying some of the testimonies of Orientalists and their positive attitudes towards Islamic civilization and its influence in building up the civilization of Europe at recent time. The study concludes with several recommendations.

Key Words:

Orientalism, Islamic civilization, Historical overview, Europe, Middle Ages